مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

ملامح نظرية السياق عند " ابن جني "
" الخصائص " أنموذجاً

الدكتور محمد بصل*
فاطمة بلة**

(تاريخ الإيداع 10 / 12 / 2013. قبل للنشر في 17 / 6 / 2014)

□ ملخّص □

لقد تبوأت دراسة السياق مجالاً واسعاً في الدراسات اللغوية لأهميته الكبرى وقدرته الهائلة في توجيه المعنى ، فالدلالة المعجمية الحقيقية يقع الفهم عليها للوهلة الأولى ، أما الدلالة السياقية فهي تحتاج إلى قرينة لغوية أو لفظية للوصول إلى دلالتها المبتغاة .

وقد أدرك علماء اللغة أن الكلام تحكمهُ مجموعة من القرائن والعلاقات ، بعضها داخلي يتعلق بالنظم ، وبعضها خارجي يتعلق بالموقف الذي تدور حوله الألفاظ .

وسيتناول البحث ملامح نظرية السياق عند "ابن جني" في كتابه "الخصائص" ، حيث اعتمد على السياق في تناول النص اللغوي ، على مختلف المستويات المعجمية والدلالية والصرفية والصوتية .

إنّ ما قام به "ابن جني" – وغيره من علماء اللغة – ليدل على القدر الكبير من الدقة والعمق في استيعاب الدرس اللغوي العربي لنظرية السياق .

الكلمات المفتاحية: السياق ، النظم ، الدلالة الصوتية ، الدلالة الصرفية .

* أستاذ – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
**طالبة دراسات عليا(دكتوراه)– اللغة العربية وآدابها – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

Aspects of "Context" Theory for Ibn Jinny "The Properties" as a Pattern

Dr. Mohammad Bassal*
FatemaBallah**

(Received 10 / 12 / 2013. Accepted 17 / 6 / 2014)

□ ABSTRACT □

The study of "Context" has taken a wide space in the linguistic studies due to its great importance and tremendous ability in diirecting the meaning . The real dictionary indication gives the first instance understanding , while the context indication needs a linguistic presumption for reaching the targeted indication . The Linguists realized that speaking is controlled by a set of presumptions and relations , some of which are internal and related to the systems , while others are external and related to the situation about which the pronunciation is concerned .

The research will handle the aspects of "Context" Theory for Ibn jinny in his book "The properties" , where he depended on the context in handling the linguistic text , at the various levels (dictionary , semantics , inflection , phonetics) .

What Ibn jinny and other Linguists did reveals how much accuracy and depth is needed to comprehend the "Context" Theory linguistically .

Key words : Context - Systems - Phonetic Indication - Inflection Indication .

* **Professor –Arabic Language & Literature, Tishreen University, Lattakia – Syria.**
** **Postgraduate Student , Arabic Language & Literature, Tishreen University, Lattakia – Syria.**

مقدمة :

تعد نظرية السياق من أهم نظريات علم الدلالة ، وتنسب إلى عالم اللغة البريطاني فيرث (Firth J. R.)[1] هذه النظرية، غير أن نظرية السياق لم تكن مجهولة قبل فيرث فقد اهتدى علماء العرب إلى أهمية السياق ومراعاة ظروف الكلام المحيطة بالحدث الكلامي في دراسة النصوص ، فالدقة المتناهية في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني عوّلت على السياق ، بوصف الكلمات التي ترتبط فيما بينها بعلاقات يكشفها السياق .

لقد تناول العلماء العرب من بلاغيين ولغويين ظاهرة السياق وأفاضوا في الحديث عنها والاهتمام بها لصلتها الوثيقة بالقرآن الكريم ، لأن تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي متعلق بفهم السياق .

وقد وجدت جذور ظاهرة السياق عند أصحاب كتب معاني القرآن كـ : الكسائي (189هـ) ، الفراء (207هـ) ، الأخفش (215هـ) ، الزجاج (311هـ) ، النحاس (338هـ) ، وقد ذكروا السياق بلفظه الصريح كسياق الكلام وقرينة السياق ، ويعني السياق اللغوي ، واستعملوا المقام والحال وأرادوا به السياق المحيط بالحدث الكلامي .

لكن نظرية السياق عندهم لم تكن نظرية متكاملة لأنهم اكتفوا بالتطبيق لا بالتنظير ، فاهتمامهم الكبير كان منصبًّا على فهم مدلولات معاني القرآن الكريم .

فقد وجد العلماء العرب القدامى أنّ اللفظ المجرد من السياق لا يكشف المعنى ، وقد ظهر ذلك عند أهم رموزهم كـ "ابن جني" والجاحظ وغيرهما ... أما فيرث فقد جعل من نظرية السياق نظرية لغوية متكاملة في الدراسات الدلالية .

كان "ابن جني" رائداً في نظرية السياق ، والاهتمام بسياق الحال والموقف الكلامي من أجل كشف الدلالة ، وترجيح معنى دون آخر .

أهمية البحث وأهدافه :

تكمن أهمية البحث في رصد نظرية السياق عند العلماء العرب القدامى في الجانب العملي ممثلاً بـ"ابن جني" في كتابه "الخصائص" ؛ بوصفه قد عني بدراسة السياق في تفسير النصوص اللغوية المتنوعة سواء أكانت الدراسة على مستوى اللفظة المفردة أم التركيب أم النص بكامله .

إنَّ الهدف من هذا البحث هو الكشف عن جهد علماء العرب القدامى – ومنهم "ابن جني" – في نظرية السياق التي ظهرت بوصفها كنظرية متكاملة عند علماء الغرب ، ليبقى هناك بين القديم والحديث جسر يطور العلوم ، ولتلتقي أفكار الغرب مع أفكار العرب في ضرورة الاستعانة بنظرية السياق من أجل الكشف عن المعنى .

منهجية البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، حيث يعرض الظواهر المختلفة المتصلة بالسياق في كتاب "الخصائص" لـ "ابن جني" ، ثم يكشف عن خفايا تلك الظواهر عبر قراءة موضوعية .

(1) بول، وبراون. تحليل الخطاب، تر. محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ط1 ، 1997م ، ص46 .

مظاهر السياق في كتاب "الخصائص" لـ "ابن جنـي" :

تضم مادة "سوق" في معجمات اللغة دلالات منها ما جاء في المعجم الوسيط : « سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه »[2] .

وفي لسان العرب : « ما تساوق ، أي : ما تتابع ، والمُساوقة : المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً »[3] ، وقد درس علماء اللغة السياق وربطوه بضرورة مراعاة الأحوال التي يقتضيها (المقام) وهذا يعني الظروف الاجتماعية المحيطة بالحدث الكلامي ، فلا يقتصر المعنى على السياق اللغوي (المقال) بل يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام) فقد انطلق علماء اللغة من مقولة : « لكل مقام مقال » ، و« لكل كلمة مع صاحبتها مقام »[4] .

وفكرة « المقام » هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل منه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء « المقال »[5] . على الرغم من اهتمام علماء اللغة بسياق الحال « المقام » ، إلا أنهم لم يهملوا السياق اللغوي وقد برز ذلك في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ) .

ويعد بشر بن المعتمر (210هـ) أول من أشار إلى أهمية المقام في تحديد المعاني ودلالتها ، حيث نقل الجاحظ (255هـ) عنه قوله : « والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتصنع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وأحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مَقام من المقال ، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصّيّ ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولُطف مَداخلك واقتدارِك على نفسك إلى أن تُفهم العامّة معاني الخاصَّة وتكسُوها الألفاظَ

الواسطة التي لا تلطُف عن الدَّهماء ولا تَجفُو عن الأكفاء فأنت البليغ التام »[6] .

إنّ دلالة السياق عند الجاحظ تتجلى في موقفه من المعاني والألفاظ فهو يرى أن « المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلِّجة في نفوسهم والمتَّصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم ، مستورةٌ خفيةٌ ، وبعيدة وحشية ، محجوبةٌ مكنونةٌ ، وموجودةٌ في معنى معدومة »[7] .

ثم إن حكم هذه : « المعاني خلافُ حُكم الألفاظ ، لأن المعاني مبسوطةٌ إلى غير غاية ، وأسماء المعاني مقصورةٌ معدودة ، ومحصَّلة محدودة »[8] .

---

(2) أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية ، مطبعة المعارف ، ط2 ، مصر ، 1972 ، 1973 م ، ج1 ، ص465 .

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1990م ، م10 ، ص166 ، « سوق » .

(4) القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع ، (739 هـ) ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003 م ، ص20 .

(5) حسان ، تمام ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، دار الثقافة ، المغرب ، د. ت. ط. ، ص237 .

(6) الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، (255 هـ) ، البيان والتبيين ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م ، ج1 ، ص99 .

(7) المصدر السابق ، ج1 ، ص60 .

(8) المصدر السابق ، ج1 ، ص60 .

فالمعاني مستترة محلها النفس ، غير محدودة وغير منتهية ، أما الألفاظ مستخدمة ظاهرة محدودة ، وعلى الرغم من إعطاء المعنى الأهمية الكبرى وتفضيله على الألفاظ ، صنف المعاني بحسب أصناف الناس في المجتمع وتباين مقاماتهم وأحوالهم ، فهو يراعي بدقة الشروط الخارجية والذاتية للمتلقي وبذلك تنفتح المعاني ولا تتوقف .

يقول الجاحظ مظهراً أهمية الدلالة المقامية « أنه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكلِّ طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مَقاماً حتى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات »[9] .

إن مراعاة المقام للمعاني لا تعني إكمال قواعد النحو ، فالجملة لا تكتمل إلا بالمعنى وتطبيق قواعد النحو ، وإن المتكلم كلما كان على علم بفحوى الخطاب الموجه إليه كان الإيجاز في القول ، وهذا ما أكدته الدراسات السياقية اللاحقة « فالجملة لا تعتبر كاملة المعنى meaning ful إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو ، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة وتقبلها أبناء اللغة وفسروها تفسيراً ملائماً وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية acceptability[10] .

ويعدّ "ابن جني" (392هـ) من العلماء العرب الذين اهتموا بالسياق ، فقد عدّ السياق العامل الأساس في فهم المعنى ، وأكد على دوره الوظيفي في تحديد الدلالات ، ويظهر ذلك في حديث "ابن جني" عن المشترك اللفظي ؛ فالتمييز بين المعاني المشتركة في اللفظ الواحد يكون من خلال السياق الذي ترد فيه ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب "**اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات والسكون**" فمن الأفعال التي وقعت مشتركة : « وجدت في الحزن ، ووجدت في الضالة ، ووجدت في الغضب ، ووجدت ، أي : علمت ؛ كقولك : وجدت الله غالباً »[11] .

ومن الأسماء التي وقعت مشتركة : « **(الصدى)** : الطائر يخرج من رأس المقتول إذا لم يُدرَك بثأره ، و**(الصدى)** : العطش ، و**(الصدى)** : ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية ، و**(الصدى)** من قولهم : فلان صَدى مال ؛ أي : حَسَن الرعية له ، والقيام عليه »[12] .

ومن الأحرف المشتركة : « (هل) بمعنى الاستفهام ، وبمعنى قَدْ ، و(أَمْ) للاستفهام وبمعنى بَلْ »[13] .

ومما أورده "ابن جني" في باب "**توجيه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين**" مشيراً فيه إلى أهمية السياق في كشف المعنى ، يقول : « أن يتفق اللفظ البتَّة ، ويُختلف في تأويله ، وعليه عامّة الخلاف ، نحو قولهم : هذا أمر لا ينادى وليده ، فاللفظ غير مُختلف فيه ، لكن يختلف في تفسيره . فقال قوم : إنّ الإنسان يذهل عن ولده لشدّته ، فيكون هذا كقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ [الحج : 2] . وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ Á وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ [عبس : 34 – 35] ، أي : لا وليد فيه فينادى »[14] .

إنّ هذه الآية تحمل كل الوجوه التي قيلت ، ويتوقف المعنى على الموقف الذي قيلت فيه العبارة . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص : 82] . فذهب الخليل وسيبويه فيه إلى أنه وَيْ مفصول ، وهو اسم سمِّي به الفعل في الخبر ، وهو معنى أعجب ، ثم قال مبتدئاً : كأنه لا يفلح الكافرون .

---

(9) المصدر السابق ، ج1 ، ص100 .

(10) عمر ، أحمد مختار ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1982 م ، ص77 .

(11) ابن جني ، الخصائص ، تحـ . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، م1 ، ص459 .

(12) المصدر السابق ، م1 ، ص459 .

(13) المصدر السابق ، م1 ، ص459 .

(14) المصدر السابق ، م2 ، ص385 .

وذهب أبو الحسن فيه إلى أنه : وَيْكَ أنه لا يفلح الكافرون ، أراد : ويك ، أي : أعجب أنه لا يفلح الكافرون ، أي: أعجب لسوء اختيارهم (ونحو ذلك) فعلَّق (أن) بما في (ويك) من معنى الفعل ، وجعل الكاف حرف خطاب بمنزلة كاف ذلك وهناك .

و(كذلك) قول الله سبحانه : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص : 82] ، أي : (هم لا يفلحون) . « وقال الكسائيّ : أراد : ويلك ، ثم حذف اللام »[15] .

لقد أكد "ابن جني" على أهمية مراعاة السياق في كشف المعنى ، في فصل "الحمل على المعنى" ، وذلك عندما يلاحظ في الكلام « تأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً »[16] ، ومنه « قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام : 78] ، أي : هذا الشخص أو هذا المرئيّ ونحوه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [البقرة : 275] ، لأن الموعظة والوعظ واحد . وقالوا في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56] إنه أراد بالرحمة هنا المطر »[17] .

لقد عدّ "ابن جني" تأنيث المذكر أكثر غرابة واستنكاراً من تذكير المؤنث ومن أمثلة ذلك : « قراءة من قرأ : ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ [يوسف : 10] ، وكقولهم : ما جاءت حاجَتَك ، وكقولهم : ذهبت بعضُ أصابعه ، أنث ذلك لمَّا كان بعض السيَّارة سيَّارة في المعنى ، وبعض الأصابع إصبعاً ، ولمَّا كانت (ما) هي الحاجة في المعنى »[18] .

وفي باب "**تدريج اللغة**" يعمد "ابن جني" إلى تحديد دلالة الكلمات « بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها ، فهي متأتية بالأساس من ارتباط السياق اللغوي بالتأليف الذي ينتج من تجاور الكلم »[19] .

ومن ذلك : « قولهم : جالِس الحسن أو ابن سيرين ، (ولو) جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالِفاً ، وإن كانت (أو) إنما هي في أصلِ وضعها لأحد الشيئين .

وإنما جاز ذلك في هذا الموضع ، لا لِشيءٍ رجع إلى نفس (أو) بل لقرينة انضمَّت من جهة المعنى إلى (أو) . وذلك لأنه قد عُرِف أنه إنما رُغِّب في مجالسة الحسن لما لمجالسه في ذلك من الحظّ ، وهذه الحال موجودة في مجالسةِ ابن سيرين أيضاً ، وكأنه قال : جالس هذا الضرب من الناس . وعلى ذلك جرى النهي في هذا الطرْزِ من القول في قول الله سبحانه : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : 24] ، وكأنه – والله أعلم – قال : لا تطع هذا الضرب من الناس . ثم إنه لما رأى (أو) في هذا الموضع قد جَرَتْ مجرى الواو تدرَّج من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو في موضع عارٍ من هذه القرينة التي سوَّغته استِعمال (أو) في معنى الواو »[20] .

فإدراك المعاني في هذه العبارات لا يتم إلا بمراعاة السياق التي قيلت فيه .

---

(15) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص389 .

(16) المصدر السابق ، م2 ، ص180 .

(17) المصدر السابق ، م2 ، ص181 .

(18) المصدر السابق ، م2 ، ص184 .

(19) عمر ، أحمد مختار ، علم الدلالة ، ص69 .

(20) ابن جني ، الخصائص ، م1 ، ص348 .

وللسياق أهمية في تحديد المعنى النحوي فـ « يمكن إعراب الكلمة الخالية من العلامة الإعرابية ، بحيث لا تظهر فيها علامة على الإطلاق ، وإعرابها في هذه الحال لا تقوم به العلامة ، ولا تدل عليه ، وإنما الذي يدل عليه فهم قرينة السياق التي تصب فيها كل القرائن »[21] .

« فالاسم المرفوع مَبنى صالح لأن يكون فاعلاً أو نائب فاعل أو اسماً لكان أو خبراً لإنّ أو مبتدأ أو خبراً أو تابعاً مرفوعاً وأن الاسم المنصوب صالح لأن يكون أي واحد من المفعولين أو حالاً أو تمييزاً أو مستثنى أو منادى مضاف أو منصوباً على الاختصاص أو مشتغلاً عنه أو تابعاً منصوباً أو منزوع الخافض ... فإذا تحقق المبنى بعلامة في سياق فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية »[22] .

فالمبنى واحد خارج السّياق والمعاني متعددة ، ما لم يطرأ عليها علامات ترشدك إلى الصواب ، وهذا ما أوضحه "ابن جني" في باب "تجاذب المعاني والإعراب" بأمثلة كـ « قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ا يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق : 8 – 9] ، فمعنى هذا : إنه على رَجْعه يوم تُبلى السرائر لقادر ، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ؛ لفصلك بين الظرف الذي هو (يوم تبلى) ، وبين ما هو معلَّق به من المصدر الذي هو الرَّجْع ، والظرف من صلته ، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبيّ أمر لا يجوز .

فإذا كان المعنى مقتضياً له والإعراب مانعاً منه ، احتلت له ، بأن تضمر ناصباً يتناول الظرف ، ويكون المصدر الملفوظ به دالاً على ذلك الفعل ، حتى كأنه قال فيا بعد : يرجعه يوم تُبلى السرائر . ودلَّ (رجعه) على (يرجعه) دلالة المصدر على فعله »[23] .

وقد أدرك "ابن جني" أهمية سياق الحال ، فعلى المحدد للمعنى « أن يحيط بالظروف التي تحيط بالكلام ، فيجمع بين السامع والظروف التي تنوب عن المشاهدة والحضور »[24] .

وهذا ما أوضحه "ابن جني" « عندما عرض للروايات اللغوية ومشاهدة اللغويين لرواتها وأثرها (المشاهدة) في تحديد الدلالة ، مع التفات إلى أن تلك المعاني التي سجلها الأوائل والطرق التي فهموا بها ما عرض لهم من حوادث وأقوال هي أقرب إلى الصحة والدقة ، لأنهم شاهدوا أحوال أصحابها وعرفوا ما لا تستطيع معرفته من مطالعتنا للنص وحده »[25] .

وهذا ما دعا "ابن جني" إلى القول : « إن هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجود الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدئ وإلامَ نُحِي ، وهو كتاب يتساهم ذوو النظر : من المتكلّمين ، والفقهاء ، والمتفلسفين ، والنحاة ، والكُتّاب ، والمتأدّبين التأمّل له ، والبحث عن مستودعه ، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ، ويأنس به ؛ ليكون له سهم منه ، وحِصّة فيه ! »[26] .

كما يضرب "ابن جني" مثالاً على أهمية معرفة سياق الحال بقوله : « رفع عقيرته ، إذا رفع صوته ... وإنما هو أنَّ رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته ، فقال الناس : رفع عقيرته ، أي: رجله المعقورة ... ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ، ما لا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ،

---

(21) عبد اللطيف ، محمد حماسة . العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1994م ، ص300 .

(22) حسان ، تمام ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص165 .

(23) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص459 .

(24) الراجحي ، عبده ، فقه اللغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ت. ط. ، ص167 .

(25) الكراعين ، أحمد نعيم ، علم الدلالة بين النظر والتطبيق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1993م ، ص86 .

(26) ابن جني ، الخصائص ، م1 ، ص113 .

فتضطر إلى قصود العرب ، وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير مهتم الرأي والعقل، فهذا حديث ما غاب عنا ، فلم ينقل إلينا، وكأنه حاضر معنا مناجٍ لنا »[27] .

لقد استطعنا فهم العبارة بالظروف المحيطة بالكلام وإلا فلا ، لأن السامع يستطيع أن يميز المعاني الحقيقية للعبارات حسب الموقف الكلامي أو طريقة الأداء ، مع الملاحظة أنَّ هذا ما يخص الكلام المنطوق فلا يخص « أن اللغة المكتوبة تخلو من عنصر مهم من عناصرها ، وهو ملابسات الحال ، أو الموقف الذي قيلت فيه، أو عنصر المقام ، فكانت توجيهات النحاة بمثابة تقديم عدة احتمالات للموقف »[28] .

وقد أشار "ابن جني" إلى أثر النبر والتنغيم في تفسير المعنى : « فكل نوع من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي »[29] ، فاختلاف النغمة يؤدي إلى مقاصد عديدة ومثال ذلك ما يفهم من سؤال السائل بحسب الأحوال المختلفة للمتكلم « وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه ، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء ، منها أن يُرِي المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه . ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به ، ومنها أن يُرِي الحاضر غيرهما بأنه بصورة السائل المسترشد لما في ذلك من الغرض ، ومنها أن يعد ذلك لما بعده ممّا يتوقعه ، حتى إن حلف بعد أنه قد سأله عنه حلف صادقاً ، فأوضح بذلك عذراً ، ولغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عمّا يعرفه لأجلها وبسببها »[30] .

وقد يركز المتكلم على جزء من الجملة دون الآخر ، فيقوي بهذا التركيز المعنى الذي سيقت له الكلمة في السياق ، وهذا ما عبر عنه « علماء اللغة حديثاً بالنبر ، حيث يكون الصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور، وانسجام الكلام مع الغرض الذي سيق له ، يتطلب طول بعض الأصوات ، وقصر البعض الآخر ، حيث يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ، ويميزها من غيرها من كلمات الجملة ، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص »[31] .

وهذا ما أشار إليه "ابن جني" بقوله : « وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه ، فتقول : كان والله رجلاً ، فتزيد في قوة اللفظ بـ : (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بـ (إنسان) فتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سماحاً أو جواداً ، أو نحو ذلك ، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق ، قلت : سألناه وكان إنساناً وتزوي وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً لحزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك »[32] .

إن طريقة نطق الكلمات وإيصالها إلى السامع تضفي أنواعاً مختلفة من الدلالة ، تبعاً لمواقع النبر في الجملة ، وقد أشار "ابن جني" إلى ما سماه "مطل الحروف" ؛ فتطويل بعض حركات الكلمة يُظهر أثره على المعنى : يقول "ابن جني" : « والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوِّتة ، وهي الألف ، الياء والواو ، اعلم أنَّ هذه الحروف

---

(27) ابن جني ، الخصائص ، م1 ، ص262 .

(28) عبد اللطيف ، محمد حماسة ، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1994م ، ص294 .

(29) حسان ، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص308 .

(30) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص224 – 225 .

(31) أنيس ، ابراهيم ، الأصوات اللغوية ، دار الطباعة الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، 1979م ، ص174 .

(32) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص127 .

أين وقعت ، وكيف وجدت ..... ففيها امتداد ولين نحو : قام وسير به ..... ، إلا أنَّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدّتها ثلاثة وهي أن تقع بعدها . وهي سواكن توابع لما هو منهن (وهو الحركات من جنسهن) الهمزة ، أو الحرف المشدد ، أو أن يوقف عليها التذكر »[33] .

« فالهمزة نحو كساء ، ورداء ، و(خطيئة ، رزيئة) ، ومقروءة ، ومخبوءة ، وإنما تمكن المدّ فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى منشؤه ، وتراخى مخرجه ، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوّتة قبله ، ثم تماديت بهن نحوه طُلْن ، وشعن في الصوت ، فوفَين له ، وزدن (في بيانه) و(مكانه) وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدّد ؛ ألا تراك إذا قلت : كتاب ، وحساب ، وسعيد ، وعمود ، وضروب ، وركوب ، لم تجدهن لَدْنات ، ولا ناعمات ، ولا وافيات مستطيلات ؛ كما تجدهن كذلك إذا تلاهن الهمز أو الحرف المشدّد »[34] .

وقد أدرك "ابن جني" أهمية التركيب في فهم دلالة المعنى فمن أهم مظاهر التركيب التي تحدث عنها

"ابن جني" "الحذف" ، مبيناً أهمية السياق في الكشف عن المعاني المحذوفة ، يقول : « حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة ، وليس شيء من ذلك إلاَّ عن دليل عليه ..... فأمّا الجملة ، فنحو قولهم في القسم : والله لا فعلت ، وتالله لقد فعلت ، وأصله : أقسم بالله ، فحذف الفعل والفاعل ، وبقيت الحال ، من الجار والجواب ، دليلاً على الجملة المحذوفة ، وكذلك الأفعال في الأمر ، والنهي ، والتحضيض ؛ نحو قولك : زيداً ، إذا أردت : اضرب زيداً أو نحوه ، ومنه إياك إذا حذَّرته ، ... ، وقد حذفت الجملة من الخبر ؛ نحو قولك : القرطاس والله ؛ أي : أصاب القرطاس وكذلك الشرط في نحو قوله : الناس مجزيون بأفعالهم ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، أي : إن فعل المرء خيراً جُزِي خيراً ، وإن فعل شراً جُزِي شراً »[35] ، والغاية من الحذف : « أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير، دلالة واضحة ظاهرة ، لا أن تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى »[36] ، فلا يتم الحذف إلا بوجود القرائن اللفظية والمعنوية الدالة على المحذوف .

ومن أمثلة ما جاء به "ابن جني" عن الحذف ؛ حذف الاسم : وهو على أضرب : حذف المضاف ، نحو : « قوله تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : 19] ، أي : كدوران عين الذي يغشى عليه الموت ، ومن حذف المضاف إليه قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ [الروم : 4] ، أي : من قبل ذلك ومن بعده »[37] .

وحذف المبتدأ ؛ نحو « هل لك في كذا (وكذا) ، أي : هل لك فيه حاجة أو أَرَب . وكذلك قوله – ﷻ – : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ﴾ [الأحقاف : 35] ، أي ذلك ، أو هذا بلاغ . وهو كثير »[38] . وحذف الخبر ؛ نحو « قولهم في جواب مَنْ عندك : زيد ؛ أي : زيد عندي . وكذا قوله تعالى :

---

(33) المصدر السابق ، م2 ، ص352 .

(34) المصدر السابق ، م2 ، ص352 .

(35) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص140 .

(36) الخفاجي ، ابن سنان ، سر الفصاحة ، شرح وتحقيق ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1969م ، ص199 – 200 .

(37) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص142 .

(38) المصدر السابق ، م2 ، ص142 .

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [محمد : 21] ، إن شئت كان على : طاعة وقول معروف أمثل من غيرهما ، وإن شئت كان على : أمرنا طاعة وقول معروف »[39] .

وحُذِف الموصوف ، حيث « أقيمت الصفة مُقامه ؛ وأكثر ذلك في الشعر ، وإنما كانت كثرته فيه دون النثر من حيث كان القياس يكاد يحظره . وذلك أن الصفة في الكلام على ضربين : إما (للتخليص والتخصيص) ، وإمَّا (للمدح والثناء) . وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب ، لا من مظانّ الإيجاز والاختصار . وإذا كان كذلك لم يلقِ الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه .

هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من الإلباس وضدَّ البيان . ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بطويل ؛ لم يستبن من ظاهر هذا اللفظ أن المرور به إنسان دون رمح أو ثوب أو نحو ذلك . وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف إنما هو متى قام الدليل عليه أو شهدت الحال به . وكلَّما استبهم الموصوفُ كان حذفه غير لائق بالحديث »[40] .

ومن أمثلة ما جاء به "ابن جني" عن حذف الفعل : وهو على ضربين : « أحدهما أن تحذفه والفاعلُ فيه . فإذا وقع ذلك فهو حذف جملة . وذلك نحو زيداً ضربته ؛ لأنك أردت : ضربت زيداً ، فلّما أضمرت (ضربت) فسَّرته بقولك: ضربته . وذلك قولك : أزيداً مررت به ، وقولهم : المرء مقتول بما قَتَل به ، إن سيفاً فسيف ، وإن خنجراً فخنجر ؛ أي: إن كان الذي قَتَل به سيفاً فالذي يُقتل به سيف ، فكان واسمها وإن لم تكن مستقلَّة فإنها تُعتدّ اعتداد الجملة .

والآخر أن تحذف الفعل وحده . وهذا هو غرض هذا الموضع ، وذلك أن يكون الفاعل مفصولاً عنه مرفوعاً به. وذلك نحو قولك : أزيد قام . فزيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل ؛ لأنك تريد : أقام زيد ، فلمّا أضمرته فسّرته بقولك : قام »[41] .

ومن أمثلة ما جاء به "ابن جني" عن حذف الحرف : وهو على ضربين : « أحدهما حرف زائد على الكلمة مما يجيء لمعنى . والآخر حرف من نفس الكلمة . وقد تقدّم فيما مضى ذكر حذف هذين الضربين بما أغنى عن إعادته . ومضت الزيادة في الحروف وغيرها »[42] .

ويعطي "ابن جني" السياق الأهمية الكبرى في التمييز بين معاني الصيغ الصرفية التي تحتمل أكثر من معنى ، لأنَّ « الصيغ أيضاً صالحة لهذا التعدد والاحتمال ، ويكفي أن تنظر في معنى صيغة مثل (أفعل) لتجد أنَّ معناه يكون للتعدية ومصادفة الشيء على صفة ، والسلب والإزالة ... كما أنك ستجد

فعّل للتكثير ، ونسبة الشيء إلى أصل الفعل ، والتوجيه إلى الشيء ، وقول الشيء »[43] .

فالصيغة تخرج على أصل دلالتها ، للدلالة على معنى آخر فمثال ذلك قول "ابن جني" : « ألا تراهم قالوا في قول الله ﷻ : ﴿ مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾ [الطارق : 6] ، إنه بمعنى مدفوق فهذا لعمري معناه ، غير أن طريق الصنعة فيه أنَّه ذو دفق ... ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [هود : 43] ، أي : لا عصمة ، وذو العصمة يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً ، فمن هذا قيل : إنّ معناه : لا معصوم »[44] .

---

(39) المصدر السابق ، م2 ، ص142 .

(40) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص146 .

(41) المصدر السابق ، م2 ، ص156 .

(42) المصدر السابق ، م2 ، ص158 .

(43) حسان ، تمام ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص164 .

(44) ابن جني ، الخصائص ، م1 ، ص183 .

وعلى هذا ما جاء به "ابن جني" : « من قوله تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة : 7] ، أي : ذات رضا ، فمن هنا صارت بمعنى مَرْضِيَّة . ولو جاءت مذكَّرة لكانت كضاربٍ وبازلٍ ، كباب حائضٍ وطاهرٍ ؛ إذ الجميع غير جارٍ على الفعل »[45] .

وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً ﴾ [الإسراء : 101] ، « أي : ساحراً ، حيث دلت صيغة المفعول على معنى الفاعل »[46] ، وقد « يأتي المفعول بلفظ الفاعل فتقول : أمر كاتم ، أي : مكتوم »[47] .

وفي كتاب الخصائص لـ "ابن جني" بابان هامان يؤكدان لجوء "ابن جني" إلى السياق في تفسير الألفاظ والتراكيب :

الباب الأول : (في قوة اللفظ لقوة المعنى) فقد أدرك "ابن جني" في هذا الباب أن من وسائل قوة المعنى زيادة اللفظ، لأن أي انحراف عن اللفظة الأصلية يؤدي حتماً إلى معنى غير المعنى الأصلي ومن ذلك قوله : « خَشُنَ واخشوشن. فمعنى خَشُن دون معنى اخشوشن ، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ... ومثله باب فعل وافتعل ، نحو قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنى من قولهم : قدر ... قال الله سبحانه : ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : 42] ، فمقتدر هنا أوفق من قادر ؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر شدّة الأخذ . وعليه – عندي – قول الله ﷻ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : 286] ، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر . وذلك لقوله – عزّ اسمه –: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام : 160] ، أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها ، صِغر الواحد إلى العشرة ، ولمّا كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها ، لم تحتقر إلى الجزاء عنها ، فعلم بذلك قوّة فعل السيئة على فعل الحسنة »[48] .

ومن أمثلة تكثير اللفظ لزيادة المعنى ما جاء به "ابن جني" : « وذلك فُعال في معنى فعيل ؛ نحول طُوال ؛ فهو أبلغ (معنى من) طويل ، وعُراض ؛ فإنه أبلغ (معنى من) عريض . وكذلك خُفاف من خفيف ، وقُلال من قليل ، وسُراع من سريع . ففُعال – لعمري – وإن كانت أخت فعيل في باب الصفة ، فإن فعيلاً أخصّ بالباب من فعال ؛ ألا تراه أشدّ انقياداً منه ؛ تقول : جميل ولا تقول : جُمال ، وبطيء ولا تقول : بُطاء ، وشديد ولا تقول : شُداد (ولحم غريض ولا يقال غُراض) . فلمَّا كانت فعيل هي الباب المطَّرد أريدت المبالغة ، عدلت إلى فُعال . فضارعت فُعال بذلك فُعَّالاً . والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله . أما فُعَّال فبالزيادة ، وأمَّا فُعال فبالانحراف به عن فعيل »[49] .

وانتهى باب **(قوة اللفظ لقوة المعنى)** بقول "ابن جني" : « وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ، ثم زيد فيها شيء ، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به إن انحُرِف به عن سمته (وهَدْيَتِه) كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له »[50] ، لقد بيّن "ابن جني" أن أية زيادة في اللفظ يقابلها زيادة في المعنى ، وعليه يُقال : إنَّ كل زيادة أو نقصان في اللفظ يؤدي حتماً إلى تغيير المعنى .

---

(45) المصدر السابق ، م1 ، ص184 .

(46) العكبري ، أبو البقاء . إملاء ما منّ به الرحمن من وجود الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، ج2 ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ط7 ، ص30 .

(47) ابن فارس ، الصاحبي ، في فقه اللغة العربية وسنن العربية في كلامها ، تحـ . عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1، 1993م ، ص220 – 221 .

(48) ابن جني ، الخصائص ، م2 ، ص466 .

(49) المصدر السابق ، م2 ، ص468 .

(50) المصدر السابق ، م2 ، ص468 .

وأمّا **الباب الثاني** في كتاب الخصائص لـ "ابن جني" فهو في (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) وقد اهتم بدراسة الدلالة الصوتية على مستوى صفات الحروف ومخارجها ، ودلالة الكلمة باعتبارها بنية بعينها يقول "ابن جني" : « فمقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع ، ونهج مُتلئبّ عند عارفيه مأموم .

وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبَّر بها عنها ، فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها . وذلك أكثر ممّا نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره »[51] ، وهنا يشير أن الدلالة الصوتية للحروف تدل على المعاني المختلفة في اللغة . ومن أمثلة ذلك ؛ ما جاء به "ابن جني" : « النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ، قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن : 66] ، فجعلوا الحاء – لرقّتها – للماء الضعيف ، والخاء – لغِلَظها – لما هو أقوى منه »[52] .

ومن ذلك مثال : « القَدّ طُولاً ، والقَطَّ عَرْضاً . وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال . فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العَرْضِ ؛ لقربه وسرعته ، والدالَ المماطلة لِما طال من الأثر ، وهو قطعه طولاً »[53] . وقد « يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهِ أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهى أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهى آخره ، وتوسيط ما يضاهى أوسطه ، سَوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود »[54] .

ومن ذلك « شدَّ الحبل ونحوه ، فالشين بما فيها من التفشي تشبّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ، ثم يليه إحكام الشدّ والجذب ، وتأريب العَقْد ، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ، لاسيما وهي مدّغمة، فهو أقوى لصنعتها وأدّل على المعنى الذي أريد بها »[55] .

وقد أشار إليه "ابن جني" في معرض حديثه عن البنية الصوتية للكلمة أنّ هذه الدلالة تضيف معنى آخر للكلام، وذلك في حديثه عن المصادر : « وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعَّفة تأتي للتكرير ؛ نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والصعصعة ، والجرجرة ، والقرقرة ، ووجدت أيضاً (الفَعَلى) في المصادر ، والصفات إنما تأتي للسرعة ؛ نحو البَشَكَى ، والجَمَزَى ، والوَلَقَى ؛ فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر – أعني باب القلقلة – والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها »[56] .

لقد اشتملت هذه المصادر على التضعيف والتكرير فأضفت دلالة صوتية على الدلالة المأخوذة من لفظ المصدر .

---

(51) المصدر السابق ، م1 ، ص509 .

(52) ابن جني ، الخصائص ، م1 ، ص509 .

(53) المصدر السابق ، م1 ، ص509 .

(54) المصدر السابق ، م1 ، ص512 .

(55) المصدر السابق ، م1 ، ص512 – 513 .

(56) المصدر السابق ، م1 ، ص505 – 506 .

الخاتمة:

تعد نظرية السياق أحد المحاور الرئيسة في علم الدلالة ، وهي ذات علاقة وثيقة بمعرفة الدلالة الصحيحة في الكلام ، وتكمن أهميتها في إظهارها دلالة الألفاظ التي تبقى دلالتها غامضة ما لم توضع في السياق ، « فالمعرفة التامة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة ، لا يمكن أن تأخذ قراءة ما على أنها صحيحة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق »[57] فـ « معنى الكلمة في المعجم متعدد ومحتمل ، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد »[58] .

لقد تنبه "ابن جني" إلى دور السياق في إظهار المعنى المطلوب من خلال حديثه عن المشترك اللفظي ؛ حيث تتفق الألفاظ رسماً وتختلف دلالةً ، فلا تظهر دلالتها إلا من خلال السياق ، كما أظهر بيان أهمية السياق في تحديد المعنى النحوي ، وأوضح دور النبر والتنغيم في الكشف عن الدلالة المقصودة ، وبين أهمية دلالة المعنى من خلال التركيب ، كدلالة السياق في تقدير المحذوف ، ويعطي "ابن جني" السياق أهمية في التعبير عن معاني الصيغ الصرفية التي تتحمل أكثر من معنى ، كدلالة اسم الفاعل معنى اسم المفعول وغيره .

وهذا ما ذهب إليه "فيرث" – المؤسس الحقيقي لنظرية السياق – من خلال حديثه عن سياق المقال "السياق اللغوي"، الذي يشمل الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية للنص اللغوي ، فيصرح "فيرث" بأن « المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي : وضعها في سياقات مختلفة »[59] ، ولابد « من دراسة هذه الجوانب كلها، علماً بأنها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ولا يجوز الفصل فيما بينها إلا بقدر ما تسمح فيه ظروف خاصة »[60]

بل إنّ إدراك "ابن جني" لمفهوم السياق الاجتماعي "سياق الحال" ، أي : معرفة ظروف الكلام في الكشف عن الدلالة لهو الأساس في نظرية "فيرث" فيما يسمى "سياق الحال" ، فيرث يرى أن « التصور الرئيس في علم الدلالة يقوم على سياق الحال ... فكل شخص يحمل معه ثقافته وجزءاً كبيراً من واقعه الاجتماعي أينما ذهب »[61] .

وتبقى في طيات كتاب "الخصائص" العديد من الجوانب التي تظهر "ابن جني" واحداً من علماء العرب القدامى الذين ضربوا بسهم وافر في نظرية السياق في الدرس اللغوي العربي ، وبذلك يلتقي علماء اللغة قديماً وحديثاً في ضرورة الاهتمام بالسياق لكشف المعاني وفهم الدلالات على مختلف المستويات المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية بالإضافة إلى سياق الحال .

ولكن يبقى لعلماء اللغة المحدثين الفضل في تكوين نظرية لغوية متكاملة تصلح لدراسة المعنى وتحليله.

(57) الغذامي ، عبد الله ، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ط1 ، 1985 م ، ص78 .

(58) حسان ، تمام ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص316 .

(59) عمر ، أحمد مختار ، علم الدلالة ، ص68 .

(60) حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986م ، ص296 – 300 .

(61) مجاهد ، عبد الكريم ، الدلالة اللغوية عند العرب ، دار الضياء ، الأردن ، 1985 م ، ص159 .

المصادر والمراجع:

1 – القرآن الكريم .
2 – ابن جني ، عثمان أبو الفتح ، الخصائص ، تحـ. عبد الحميد هنداوي ، م1 ، م2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 .
3 – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن الغربية في كلامها ، تحـ. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، 1993 م .
4 – ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1990 م .
5 – أنيس ، إبراهيم ، الأصوات اللغوية ، دار الطباعة الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، 1979 م .
6 – أنيس ، إبراهيم ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مطبعة المعارف ، ط2 ، مصر ، 1972 – 1973 م .
7 – بول. ج و براون ، ج. تحليل الخطاب ، تر. محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ط1 ، 1997 م .
8 – الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، (255 هـ) ، البيان والتبيين ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م .
9 – حسان ، تمام ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، دار الثقافة ، المغرب ، د. ت. ط .
10 – حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986 م .
11 – الخفاجي ، ابن سنان ، سر الفصاحة ، تحـ. عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1969 م .
12 – الراجحي ، عبده . فقه اللغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ت. ط.
13 – عبد التواب ، رمضان . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، مكتبة الخانجي ، ط3 ، 1996 م .
14 – عبد اللطيف ، محمد حماسة . العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1994 م .
15 – العكبري ، أبو البقاء . إملاء ما منّ به الرحمن من وجود الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، ج2 ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ط7 .
16 – عمر ، أحمد مختار ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1982 م .
17 – الغذامي ، عبد الله ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ط1 ، 1985 م .
18 – القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع ، (739 هـ) ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 م .
19 – الكراعين ، أحمد نعيم ، علم الدلالة بين النظر والتطبيق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط1 ، 1993 م .
20 – مجاهد، عبد الكريم ، الدلالة اللغوية عند العرب ، دار الضياء ، الأردن ، 1985 م .